محمد بن شاكر الكتبي

أعـــلام المؤرخـــين

المؤرخ محمد بن شاكر الكتبي
صاحب كتاب فوات الوفيات

هو محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين [1]: دارائي المولد دمشقي الدار، سمع من ابن الشحنة والمزي وغيرهما من علماء بلده، ولكنه حصل أكثر ثقافته - فيما يبدو - عن طريق الوراقة والمتاجرة بالكتب، وقد كان شديد الفقر قبل أن يجد الحرفة الملائمة، فلما غدا كتبياً توفر له من عمله مال طائل. وربما كانت جودة خطه ووضوحه، وذلك الاتقان في الوراقة جملة مما كفل له إقبال الناس على ما ينسخه من كتب، وكسب له حسن المعاملة في التجارة مزيداً من ذلك الإقبال، فقد وصف بأنه كان ذا مروءة في معاملته للناس؛ كذلك كان يذاكر بعض معارفه ويفيد، غير أنه لم يشتهر بين معاصريه بثقافته، وإن وصف نفسه في مقدمة الفوات بإكثاره من مطالعة كتب التاريخ، ولم ينل من عمق الثقافة ودقة الحكم ما ناله مشهورو الوراقين أمثال أبي حيان التوحيدي وياقوت الحموي، بل ظلت ثقافته تقميشاً وتنسيقاً. ويبدو لمن يطلع على نسخة الفوات أن الرجل كان لا يكترث كثيراً بمراعاة الأصول النحوية واللغوية، وربما كانت معرفته بالنحو واللغة بسيطة ساذجة، وهذا يبدو واضحاً إذا قارناه بمؤلفي كتب التراجم من معاصريه، فهم يميلون - في الأغلب - إلى استعمال أسلوب مبسط فيه كثير من طبيعة الحديث الدارج، ولكنهم لا يبلغون في ذلك مبلغ ابن شاكر.

---

(١) أصل المعلومات عنه عند ابن كثير، البداية والنهاية ١٤: ٣٠٢ - ٣٠٣، وترجم له ابن حجر ترجمة موجزة في الدرر الكامنة ٤: ٧١، ونقلت تلك الترجمة بنصها في الشذرات ٦: ٢٠٣، وانظر كشف الظنون ٢: ١١٨٥، حيث يذكر أن لقبه " فخر الدين "، وهدية العارفين ٢: ١٦٣.

ولا نعرف على وجه قاطع متى ولد ابن شاكر؛ وفي إحدى نسخ الدرر الكامنة أن ذلك كان عام ٦٨٦هـ، وهو تاريخ غير مستبعد، إلا أننا نعرف على وجه اليقين أنه عاش حتى شهر رمضان سنة ٧٦٤ هـ؛ يقول ابن كثير: " وفي يوم السبت الحادي عشر من رمضان من العام المذكور صلينا بعد الظهر على الشيخ محمد بن شاكر الكتبي " وبعد شهر، وفي ١٠ شوال ٧٦٤ هـ على التحديد، توفي معاصره الشيخ صلاح الدين الصفدي.

مؤلفات الكتبي:

١ - عيون التواريخ: ذكر حاجي خليفة أنه في ست مجلدات، وقال صاحب هدية العارفين: إنه في ٢٨ مجلداً، وإليه أشار ابن كثير حين قال: وجمع تاريخاً مفيداً نحواً من عشر مجلدات ولعل الاختلاف في عدد أجزاء الكتاب راجع إلى تفاوت في طبيعة النسخة التي اطلع عليها كل واحد منهم، وفي مكتبات استانبول عدة نماذج من نسخ هذا الكتاب، تشير إلى هذا التفاوت في التجزئة.

٢ - روضة الأزهار في حديقة الأشعار، ذكره صاحب هدية العارفين.

٣ - فوات الوفيات والذيل عليها.

كتاب فوات الوفيات:

يستفاد من المقدمة القصيرة التي صدر بها الكتبي كتابه هذا أنه قام بجمعه وترتيبه بعد أن اطلع على وفيات الأعيان لابن خلكان فوجد أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء وأنه أخل بتراجم بعض فضلاء زمانه وجماعة ممن تقدم على أوانه، فأحب أن يستدرك عليه ما فاته ويذيل على كتابه؛ وفي ذكر هذه الغاية على هذا النحو شيء من

المغالطة، فإن ابن خلكان قد صرح بأنه لا ينوي أن يترجم للخلفاء، وأنه لن يدرج في كتابه إلا من عرف سنة وفاته، ولم يكن إغفاله الكثيرين (لذهول عنهم أو لأنه لم تقع له ترجمة أحد منهم) كما يدعي الكتبي، وإنما جرى ذلك خضوعاً لمنهج محدد.

ويتراءى لي أن مؤلف الفوات وجد أمامه كتاب الصفدي (الوافي بالوفيات) فاختار منه عدداً من التراجم (ربما لم تزد على ستمائة)، وجعل مصنفه الجديد في أربعة مجلدات، وتولى ما ينقله ببعض الاختصار، ولم يزد شيئاً في المعلومات التاريخية والإخبارية، وإنما زاد في بعض المختارات الشعرية، وأكثر منها بشكل واضح في بعض التراجم؛ وحاول حقًّا ألا يكرر ما أورده ابن خلكان من تراجم، إلا أن ذلك لم يكن مضطردًا دائمًا.

ويبدو أن الكتبي كان يصنع كتبه بالاتكاء على مؤلفات معاصريه من مؤلفي الموسوعات، فقد ذكر حاجي خليفة أيضاً أنه في (عيون التواريخ) يتتبع في الغالب ابن كثير، (ولا سيما في الحوادث، وكثيراً ما ينقل منه صفحة فأكثر بحروفه).

متى ألف الكتبي كتاب الفوات؟

في آخر نسخة الفوات التي كتبها المؤلف أن العمل قد تم سنة ٧٥٣هـ؛ إن هذا التاريخ إن لم يكن تاريخاً لتأليف الكتاب فإنه يعد تاريخ الصورة النهائية التي اعتمدها مؤلفه وارتضاها، وربما أنه يتكئ على الصفدي فيما نقله، فإن هذا التاريخ يشير إلى أن الصفدي نفسه كان قد انتهى من تأليف كتابه قبل ذلك العام [1].

* * *

(١) مقدمة تحقيق كتاب فوات الوفيات، للمؤلف محمد بن شاكر الكتبي، من تحقيق إحسان عباس، ونشر دار صادر - بيروت.